

عمر بن الخطاب والشعر

أ . ك . أحمد كوتى

ان الجوانب الأخرى من حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ذلك الخليفة العادل الصالح والفاتح العظيم المهيب والمؤمن القوى التقى الذى لا يخاف فى الله لومة لائم ، معروفة لدينا جميعا ، فانها غنية عن التعريف ، ولكن أكثرنا لا يعرفون جانبا طريفا ممتعا لشخصيته ، وهو حبه للشعر واهتمامه به . وفى الحقيقة كان الخليفة عمر رضى الله عنه أكثر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلا الى الشعر و تذوقا له وتمثيلا به .

ان هناك روايات كثيرة تفيد بأن عمر رضى الله عنه كان يحب الشعر ويتلذذ به ويرغب اليه . منها أن بعض الناس أنشده القصيدة اللامية لعبدة بن الطيب ، فلما بلغ المنشد الى قوله :

والمرء سباع لشئ ليس يدركه

والعيش شح واشفاق وتأميل

قال عمر متعجبا من سليقة هذا الأعرابى : ,,والعيش شح واشفاق وتأميل ,, و أعجبه حسن ما قسم وما فصل (١) .

وأنشده منشد آخر قصيدة أبى قيس بن الأسلت وهو ساكت ، فلما

انتهى الى قوله :

الكيس والقوة خير من الا

شفاق والفهم والهفاع

أعاد عمر البيت يتعجب منه - (٢) - وكان عمر اذا أنشد قول زهير بن
أبي سلمى :

وان الحق مقطعه ثلاث

يمين أو نفار أو جلاء

قال كالمتعجب ، وهو يردد البيت : ، ومن علمه بالحقوق وتفصيله بينها
واقامته أقسامها ، (٣)

وكان أكثر الناس تمثيلا بالشعر حتى قيل : ، كان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر (٤) .
ويروى أنه قيل له : قيل للاوسية أى منظر أحسن ؟ فقالت : ، قصور
بيض فى حدائق خضر ، فأنشد عند ذلك عمر بيت عدى بن زيد
العبادى :

كدمى العاج فى المحاريب أو كالد

بيض فى الروض زهره مستنير (٥)

عمر كناقد الشعر :

لم يكن عمر محبا للشعر ومستمتعا به فقط ، بل كان ناقدًا للشعر
أيضا . وكان له ذوق سليم حكم به الشعر حكما صحيحا وميز به حسن
الشعر من قبيحه . فنقرأ فى جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى
عن حادثة ، وهى (٦) .

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبيابه وفد غطفان فقال :
، أى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى سعاية

لمبلغك الواشى أغش وأكذب

ولست بمستبق أبا لا تمله

على شعث أى الرجال المهذب

قالوا : ,,النابعة ، يا امير المؤمنين ،، قال : فمن القائل :

خطاطيف حجن فى حبال متينة

تمديها أيد اليك نوازع

فانك كالليل الذى هو مدركى

وان خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : ,,النابعة ، يا أمير المؤمنين ،، قال : فمن القائل :

الى ابن محرقّ أعملت نفسى

وراحلتى وقد هدأت عيون

فألفيت الأمانة لم يخنها

كذلك كان نوح لا يخون

أتيتك عاريا خلقا ثيابى

على خوف تظن به الظنون

قالوا : النابعة ، يا أمير المؤمنين ، قال : ,,هو أشعر شعرائكم ،، .

كان أحب الشعر الى عمر شعر زهير بن أبى سلمى لما فيه من

الحكمة والموعظة والدعوة للخير والخلق الرفيع وتحري الصدق

ومجانبة الغلو والاسراف فى المديح والهجاء ، وتلك شمائل يحبها

الاسلام . فروى أن عمر كان فى سفر ومعه عبدالله بن عباس ، فقال

عمر لابن عباس : ,,يا ابن عباس ألا تشدنى لشاعر الشعراء ؟ فقال

ابن عباس : يا أمير المؤمنين : ومن شاعر الشعراء ؟ ، قال : زهير . قال
لم صيرته شاعر الشعراء ؟ قال عمر : لأنه لا يعاظم (٧) بين الكلامين
ولا يتتبع وحشى الكلام ولا يمدح أحدا بغير ما فيه (٨) .
ومن هذا القبيل رواية أخرى : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
جالسا فى أصحابه يتذكرون الشعر والشعراء فيقول بعضهم : فلان
أشعر ، ويقول آخر : بل فلان أشعر . فقيل : ، يا ابن عباس بالباب ، فقال
عمر رضى الله عنه : ، قد أتى من يحدث من أشعر الناس ، فلما سلم
وجلس قال له عمر : ، يا ابن عباس ، من أشعر الناس ، ؟ قال : زهير ،
يا أمير المؤمنين ، قال عمر . ولم ذلك ؟ قال ابن عباس : لقوله يمدح
هرما وقومه بنى مرة :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد من ولدوا
جنّ إذا فزعوا ، انس إذا أمنوا
مرزوون بهاليل إذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم
لا ينزع الله عنهم ما به حسدوا

قال عمر : صدقت يا ابن عباس (٩) .

وهذه الأخبار وأمثالها تثبت أن عمر كان قادرا على أن يقدر
الشعر تقدير الناقد البصير وموفقا بالذوق الصحيح الذى كان يميّزه
حسن الشعر من رديئه .

تشجيعه للشعر وحفظه :

ولم يكتف عمر بالتمتع بالشعر بنفسه ، بل حض الناس على ان يحفظوا الأشعار لأنه رأى فى حفظه عوناً على تربية الناس على مكارم الأخلاق والآداب الكريمة . ومن أقواله فى هذا الصدد : ، تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى (١٠) وقال عمر لابنه عبدالرحمن : ، يا بنى ، انسب نفسك تصل رحمك واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك فان من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترف أدباً - (١١) . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ، ارووا من الشعر أعفاه ، ومن الحديث أحسنه ، ومن النسب ماتواصلون عليه ، وتعرفون به ، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساوئها ، (١٢) . وقال أيضاً يحث الناس على حفظ الشعر : ، رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر ، - وكتب عمر رضى الله عنه الى ولاته يأمرهم أن يحثوا المسلمين فى اماراتهم على أن يتعلموا اللغة العربية الفصحى والشعر العربى . ومن هذه الرسائل ما ارسلها الى أبى موسى الأشعري عامله على البصرة يقول فيها : ، مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب ، ، (١٣) . وفى رسالة أخرى أرسلها الى أحد من ولاته ينصح المسلمين أن يعلموا أبناءهم السباحة واستعمال أمثال العرب والشعر الحسن فى كلامهم (١٤) .

ان عمر رضى الله عنه لم يكن يشجع الشعر وحفظه فقط بل كان يقرض الشعر فى بعض الاحيان . وهذا لايعنى أنه كان شاعراً فى المعنى الاصطلاحى وانما يعنى أنه كان يستطيع أن يعبر عن عواطفه

وأفكاره في القالب الشعري إذا اقتضته الظروف . فروى أنه لما توفي

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرثيه : (١٥)

مازلت مذ وضع الفراش لجنبه

وثوى مريضا خائفا أتوجع

شفقا عليه أن يزول مكانه

عنا فنبقى بعده نتفجع

نفسى فداؤك من لنا فى أمرنا

أم من نشاوره اذا نتوجع

وإذا تحل بنا الحوادث من لنا

بالوحي من رب رحيم يسمع ؟

ليت السماء تفتطرت أكنافها

وتناثرت منها النجوم الطلوع

لما رأيت الناس هدى جميعهم

صوت ينادى بالنعى فيسمع

وسعت صوتا قبل ذلك هدنى

عباس ينعاه بصوت يفظع

فلييكه اهل المدائن كلها

والمسلون بكل أرضى مجزع

ولكن حبه للشعر لم يكن أعمى وغير مقيد ، وكان موقفه من

الشعر موافقا لموقف القرآن الكريم و سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم . ولم يمدح الاسلام الشعر مطلقا ولم يذمه مطلقا ، بل وقف منه

موقفا واقعيا . وذلك أنه أجاز من الشعر ما لا يخالف تعاليم الاسلام

والقيم الاخلاقية السامية ويحث على الخير والايمان والتقوى ،

وأنكر من الشعر ما يخالف كل هذا وما فيه باعث على تشتيت الأمة وفساد الاخلاق ، والعصية الجاهلية والهجاء القبيح والوصف الفاحش والكذب والمغلاة وغيرها من المساويء الأخلاقية . وهذا ماتتضمنه هذه الآيات الكريمة .

«والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .» (١٦) .

وكان موقف عمر رضى الله عنه من الشعر قائما على هذه القاعدة القرآنية ، فلم يكن اعجابه بالشعر بلا قيد ولا شرط . وانما كان يعجبه من الشعر ما وافق الاسلام والأخلاق الكريمة . فكان حريصا على المعانى الدينية والاخلاقية فى الشعر ، ويدل على ذلك ماتقدم ذكره من قوله : «ارووا من الشعر أعفّه» .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشد الخلفاء الأربعة وطأة على أولئك الشعراء الذين يذكرون فى شعرهم أمورا تحث الناس على الشر والكفر والفسوق والفجور . وكان كذلك أشد حبا لأولئك الشعراء الذين يهتمون بمكارم الأخلاق والقيم الروحية والخير والتقوى . فروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى المغيرة بن شعبة عامله فى الكوفة يقول له : استنشد من قبلك من شعراء مصرى ما قالوا فى الاسلام . فأرسل المغيرة الى الأغلب العجلي الراجز فقال له : انشدنى ، فقال :

أرجزا تريد أم قصيدا

لقد طلبت هينا موجودا

ثم أرسل الى لييد فقال : ,, انشدني ماقلته في الاسلام .. فكتب
لييد سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ,, أبدلني الله هذا في
الاسلام مكان الشعر ,, فكتب المغيرة بذلك الى عمر فنقص من عطاء
الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لييد ، وكان عطاؤه ألفين
وخمسمائة (١٧)

وعلينا أن نلاحظ هنا أن عمر عندما يشيب لييدا يريد أن يوجه
الشعراء الوجهة التي يرتضيها الاسلام ولا يريد أن يشجعه على هجر
الشعر - كما قد يظن - بل ان عمر يكبر في لييد انصرافه الى القرآن
الكريم وتفضيله آياه على ماسواه .

وان مافعل عمر بن الخطاب بالشاعر المشهور الحطيئة معروف ،
وهو أنه لما اشتد هجاءه للناس ورفع أمره الى عمر بن الخطاب ، ألقاه
في بئر وحبسه هناك ، وروى أيضا أن عمر اشترى من الحطيئة
أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم وأخذ عليه عهداً ألا يهجو رجلاً
مسلماً (١٨) .

وروى أن سحيم عبد بنى الحسحاس أنشد عمر بن الخطاب رضى
الله عنه قوله :

عميرة ودّع ان تجهزت غاديا

كفى الشيب والاسلام للمرءناهيما

فقال له عمر : ,, لو كنت قدّمت الاسلام على الشيب لأجزتك ,, (١٩) .
وهذه الأخبار وأمثالها تدل على أن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لم يحب الشعر حبا أعمى ولكنه ميّز حسن الشعر من رديئه فتدوّق
وشجّع الأول و ذمّ الثانى و أنكره .